﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٦٤﴾ [الحجر: 64]

۞ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إخبارُ الملائكةِ عن سببِ مجيئِهم، والتّأكيدُ على التّنفيذِ في هذه الآية

لمّا أخبر الملائكةُ أنّهم جاؤوا بالعذاب إلى قومِ لوطٍ أكّدوا ذلك في هذه الآية[1] للنّصِّ على ما جاؤوا به منَ اليقين ومنه الإخبارُ بمجيءِ العذابِ.

۞ المَعنى الإجماليُّ:

إدخالُ الأُنسِ على نفسِ لوطٍ، بتحقيقِ ما أوعدَ الله به قومَه

قالت الملائكةُ للوطٍ: وإنّا ما أتيناك إلّا بالأمر الثّابتِ المحقَّقِ الَّذي لا مِريةَ فيه ولا تردُّدَ، وهو إهلاك هؤلاء المجرمين من قومِك، وإنّا لصادقون في كلِّ ما قُلناه لك، وأخبرناك به، فكُنْ آمنًا مُطمئنًّا[2].

۞ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائِدةُ الوصْلِ بالواوِ في الآية:

العذابُ حقٌّ، يَصطلي به المُنحرفون عنِ الفطرةِ الإنسانيّةِ

قولُه تعالى: ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾، فيه أنّه لمّا كانَ قولُ الملائكة: ﴿جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ يفيدُ لزومًا أنَّ مجيءَ العذاب حقٌّ لمقابلتِه بامتراءِ قومِ لوطٍ ناسبَ تأكيدَه بما يدلُّ عليه تصريحًا؛ لأنَّ المقامَ مَظنَّةُ الإنكارِ وللمبالغة في وقوعِه ولتثبيتِ الاطمئنانِ في قلبِ لوطٍ عليه السلام.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ﴾:

براعةُ التَّفنُّنِ في اختيارِ اللّفظِ المناسبِ لسياقِه ومقامِه

لم يقل: (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وبالحقِّ)، بعطفِ الحقِّ على (ما)، فيحتملُ أن تكونَ إعادةُ فِعْلِ ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ﴾ بعد واوِ العَطْفِ للتَّأكيدِ بالمُرادِفِ، وفيه تفنّنٌ في التّعبيرِ؛ لِدَفْعِ تَكْرارِ الفِعْلِ الواحدِ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/154.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/87، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 433، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 8/61.

كقولِه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: 33]، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ لخُصوصيّةِ كلِّ فعلٍ، وبيانُه أنَّه لَمّا كانَ المُتَعَلِّقُ بفِعْلِ ﴿جِئْنَاكَ﴾ أمْرًا حِسِّيًّا وهو العَذابُ الَّذي كانوا فيه يمترون، وكانَ ممّا يَصِحُّ أنْ يُسْنَدَ إليه المَجيءُ بمعنى كالحَقيقيِّ، إذْ هو مَجيءٌ مَجازِيٌّ مَشْهورٌ مُساوٍ للحَقيقيِّ، أوثِرَ فِعْلُ جِئْناكَ لِيُسْنَدَ إلى ضَميرِ المُخاطب، ويُعَلَّقُ بِه ﴿بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، وتَكونُ الباءُ المُتَعَلّقَةُ بِه للتّعدية لأنَّهُمْ أجاءوا العَذابَ، فموقِعُ قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مَوْقِعُ مَفْعولٍ بِهِ، كَما تَقولُ (ذَهَبْتُ بِهِ) بِمَعْنَى أذْهَبْتُهُ وَإنْ كُنْتَ لَمْ تَذْهَبْ معه، فهذه الباءُ لِلتَّعْدِيَةِ وهي بِمَنْزِلَةِ هَمْزَةِ التَّعْدِيَةِ، وأمّا مُتَعَلِّقُ فِعْلِ ﴿وَأَتَيْنَاكَ﴾ وهو ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فهو أمْرٌ مَعْنَوِيٌّ لا يَقَعُ مِنْهُ الإتْيانُ فلا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْإتْيانِ فَغُيِّرَتْ مادَّةُ المَجيءِ إلى مادَّةِ الإتْيانِ تَنْبِيهًا على إرادَةِ مَعْنَى الإتيان المُسنَدِ إلى الملائكةِ بمعناه الحقيقيِّ وليس بمعنى المجيءِ المجازيِّ[1].

نُكتةُ التّعْبيرِ بالماضي في ﴿وَأَتَيْنَاكَ﴾:

مـا تـأتي بـه الملائكةُ للرُّسلِ، حقٌّ لا ريْبَ فيه

عبّرَ بصيغة الماضي لإفادة تحقّقِ وقوعِ الإتيان بالحقِّ، وأنَّ الأمر قد قُضِيَ[2].

فائِدةُ الباءِ في قولِه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

مُـلازمـةُ الحـقِّ لرسُلِ الله، أمرٌ تجلَّى في الدّعوةِ والمُصابرة

الباءُ هنا للملابسة[3]، بمعنى أنَّ الملائكةَ كانوا في إتيانِهم مُلابسين للحقِّ، فهو غيرُ مُنفكٍّ عنهم.

فائدةُ (ال) في لفْظِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾:

دَلالةُ الحقِّ بين معنى العُمومِ والخُصوصِ

(ال) هنا جنسيَّةٌ، ليفيدَ أنَّهم جاؤوه بجنس الحقِّ، وهو اليقينُ، وعُبِّرَ عنه بالحقِّ تنصيصًا على نفي الامتراءِ عنه، واللّفظُ يشملُ كلَّ ما يُطلقُ عليه حقٌّ، ممّا أمرَهم اللّه به، ومنَ الإخبار بمجيءِ العذاب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/64.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/64.

المذكورِ، ويدخلُ فيه العذابُ الذي جاؤوا به دخولًا أوّليًّا، ويحتملُ أن تكون (ال) عهديَّةً، فيكون المرادُ منَ الحقِّ العذابَ[1]، للإيذانِ بتحقّق وقوعِه، وللتّنبيه على أنَّ عدمَ وقوعِ العذاب عليهم هو باطلٌ.

فائِدةُ الواوِ في جملةِ: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾:

الرُّسلُ صادقون فيما يُخبِرون به

لمّا كان العطف يقتضي التّغايُرَ أفادتِ الواوُ المغايرةَ في المعنى بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، بمعنى أنَّ الملائكةَ جاؤوا باليقين الذي ينبغي أن يكون ثابتًا وأنَّهم صادقون في كلِّ ما يخبرونَه به، فيكونُ الصّدق متعلِّقًا بالقولِ.

بَلاغةُ تتابُعِ التّأكيدِ في ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾:

تأكيدُ الصّدقِ في موضعِ الحاجةِ مطلوبٌ

تتابعَ التّأكيدُ في هذا التّركيب، فجاء بـ(إنَّ) ومثلُها اللّامُ الموطِّئةُ للقسَم، لتأكيدِ صدقهِم ليذهب عنه الخوفُ، ويطمئنَّ لهم، وللإيذانِ بأنَّهم ما جاءوا لإرهابِه، ولكن جاءوا لإنزال ما وعدَ اللّه تعالى له بنُصرتِه[2].

فائِدةُ حذْفِ مُتعلّقِ ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾:

تأكيدُ الصّدقِ، كالدّليلِ على صحّتِه

يحتملُ أن يكون متعلّقُ اسم الفاعلِ المحذوفِ معيَّنًا، والتّقديرُ: وإنّا لَصادقون في الإخبار به، أو وإنّا لَصادقون في ما نخبرُك به من أنَّ اللّه مهلكٌ قومَكَ، أي أتيناك فيما قلنا بالخبر الحقِّ أي الثّابتِ، وإنّا لصادقون في ذلك الخبرِ لمطابقتِه للواقع، فيكونُ المتعلَّقُ المحذوفُ معيَّنًا لشدَّة الارتباط بما قبلَه، ويحتملُ أن يكون غيرَ معيَّنٍ لإفادة العموم، بمعنى: وإنّا لصادقون في كلِّ كلام، فيكونُ كالدّليل على صدْقهم في خبرِهم، ويدخلُ فيه صدقُهم فيما أخبروه ﷺ دخولًا أوّليا، وعلى الوجهين الحذفُ للإيجاز، والكلامُ تأكيدٌ إثرَ تأكيدٍ[3].

---

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 12/625، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/54، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/84.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4098.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/115، والزمخشري، الكشاف: 2/583، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/84، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/183.